



# زاد المسلم

## اسمخ يُسمح لك

### هذه هي السماح:

السماحة خلق إسلامي عظيم، وأدب ربّاني كريم، بل هي منهج الدين، وشرعة رب العالمين، إذ يقول رسول الله ﷺ: «يُعْتَبَرُ بِالْحَيَفِيَّةِ السَّمْحَةَ» [صحيح لغيره، رواه أحمد].

وقيل لرسول الله ﷺ: أَيُّ الأديان أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «الْحَيَفِيَّةُ السَّمْحَةُ» [صحيح لغيره، رواه أحمد].

والسماحة أعم من التسامح، وهي: بذل ما لا يجب تفضُّلاً.

وقيل: هي طيبٌ في النفس عن كرم وسخاء، وهي انشراح في الصدر عن ثقي ونقاء، وهي لينٌ في الجانب عن سهولة ويُسر، وهي بشاشة في الوجه عن طلاقة وبشر، وهي ذلّة على المؤمنين دون ضعف ومهانة، وهي صدقٌ في التعامل دون غبن وخيانة، وهي تيسير في الدعوة إلى الله دون مجاملة ومداهنة، وهي انقياد لدين الله دون تشدد ورهبة. ولذلك عدّها النبي ﷺ من أفضل الإيمان فقال: «أفضل الإيمان الصبر والسماحة» [صحيح، رواه الديلمي كما في كنز العمال، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة].

من مظاهر السماحة في الإسلام:

لقد تجلّت سماحة الإسلام في جميع مبادئه وقيمه وأحكامه وتشريعاته ومنها:

### أولاً: السماحة في التشريع:

إنّ مدار الشريعة على التيسير ورفع الحرج، بشكل يتوافق مع الفطرة الإنسانية، وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في مواطن كثيرة، منها قول الله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» [البقرة: 185]. وقوله تعالى: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنِيَكُمْ لِأَهْلِيكُمْ» [الحج: 78].

وكان رسول الله ﷺ يؤكد على التيسير والتبشير؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرُّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ». [رواه البخاري].

ومن روح هذه الشريعة السمحة استنبط العلماء القاعدة الفقهية العظيمة: (المشقة تجلب التيسير)، ومجمع ذلك في قول الله تعالى: «لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» [البقرة: 286].

### ثانياً: السماحة في الدعوة إلى الله تعالى:

إن من مظاهر السماحة في الإسلام الدعوة إليه بالحكمة والرفق واللين، قال تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [النحل: 125].

وهي منهج الأنبياء في الدعوة، ولذلك أوصى الله موسى وهارون عليهما السلام بالتلطف في دعوة فرعون؛ لتحقيق الغاية المرجوة، قال تعالى: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» [طه: 44].

ومن سماحة الإسلام في هذا الجانب: عدم إكراه أحد على الدخول فيه، قال تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» [البقرة: 256].

ومنها: الحث على حُسن معاملة غير المسلمين ما داموا مسلمين، وقد أطلق عليهم مصطلح: (أهل الذمة)، والذمة معناها: العهد. وهي كلمة تُوجي بأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين، قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ نَمُ يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [المتحنة: 8].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكَ». [متفق عليه].

### ثالثاً: السماحة في المعاملات والاقتضاء:

لقد حثّت الشريعة الإسلامية على السماحة ولين الجانب في المعاملات التجارية، وفي التقاضي، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ قَرَابٍ مِّنْكُمْ» [النساء: 29].

وقد رعب النبي ﷺ في السماحة في البيع والشراء والتفاضي فدعا بالرحمة لمن تخلّق بها، فعن جابر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا افْتَصَى». [رواه البخاري].

ومن السماحة: إقالة صاحب العترة، وهو من ندم على بيع باعه، وعقد أمضاه، ويشعر بحاجته إلى الرجوع في العقد، فندب الشرع إلى إجابة طلبه، وإقالة عتته، فيتسامح الطرف الآخر ويرضى بإلغاء البيع والعقد؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ». [صحيح، رواه أبو داود، وابن ماجه].

ومنها: التساهل في الوزن، فقد كان رسول الله ﷺ يوصي الوَازن ويقول: «زِنْ وَأَرْحِحْ» [صحيح، رواه الترمذي].

ومنها: التسامح في قضاء الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَغْلَطَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، وَقَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «اشْتَرَوْهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً». [متفق عليه].

ومنها: إنظار المعسر أو التجاوز عنه، قال تعالى: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ» [البقرة: 280]. وفي الحديث أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، طَلَبَ غَرِيماً لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آلله؟ قَالَ: آلله؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنْفُسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَصْخُ عَنْهُ» [رواه مسلم].

ومنها: أن لا يطالبه بشدة أو بحضرة الناس، فعن ابن عمر وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ» [صحيح، رواه ابن ماجه].

### رابعاً: السماحة في السلوك والأخلاق:

تعدّ السماحة من أبرز أخلاق المؤمن وسجاياه الحميدة، فالمؤمن سمح كريم النفس لطيف المعشر لين الجانب، وقد وصفه النبي ﷺ بقوله: «الْمُؤْمِنُ مَأْلُفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْتَفُ وَلَا يُؤْتَفُ» [حسن، رواه أحمد].

وقد حثّ النبي ﷺ المسلمين على التحلي بهذا الخلق الرفيع فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَن يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ مَن تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْئٍ سَهْلٍ» [صحيح، رواه الترمذي].

ولقد كانت السماحة منهج حياة في سيرة رسول الله ﷺ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «مَا خَيْرُ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِتْمًا، فَإِنْ كَانَ إِتْمًا كَانَ أَبَعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا». [متفق عليه].

وهذا ضابطٌ عظيم في حدود السماحة، فلا ينبغي أن يتجاوز المسلم حدود الله، أو بغض الطرف في محارم الله، أو يسكت عن المنكر بدعوى السماحة، فهذا فهمٌ سقيم، وتهاونٌ وتفريطٌ في الدين.

### من ثمرات السماحة:

بالسماحة تصفو القلوب، وتُغْفَرُ الذنوب، ويسود الوئام، ويسعد الأنام، وأعظم ما فيها أن الجزء من جنس العمل، وأن السماحة تجلب السماحة، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ» [صحيح، رواه أحمد]. وقال تعالى: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» [آل عمران: 109].

وبالسماحة يتجاوز الله عن الخطايا ويعفو عن الزلات، فهي سبب من أسباب النجاة يوم القيامة، ففي الحديث الشريف: «كَانَ رَجُلٌ يُدَابِرُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِقَاتِهِ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنْكَ. قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ». [رواه البخاري ومسلم]. وفي الحديث أيضاً: «خُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوْجِدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ عِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ». [رواه مسلم].

نسأل الله أن يرزقنا السماحة في الأقوال والأعمال، وأن يرزقنا ثمراتها وبركاتها في الدنيا والآخرة.

والله ولي التوفيق